مجلة روافد
للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والإنسانية
المجلد 06 (عدد خاص) 2022 ص ص 447-466

مقوّمات النّهضة في فكر محمد البشير الإبراهيمي بين الالتزام والتجديد

The elements of the Renaissance in the thought of Muhammad Al-Bashir Al-Ibrahimi between commitment and renewal

مبرك حسين*

جامعة محمد بوضياف المسيلة (الجزائر).

البريد الالكتروني: hocine.mebrak@univ-msila.dz

تاريخ الإيداع	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2022/02/27	2022/04/02	2022/04/16

الملخص: لعل أبرز سمة تميز بها خطاب محمد البشير الإبراهيمي أنه خطاب متزن ومتوازن معتدل في فحواه ومحتواه، وفي أبعاده ومراميه، فهو أديب وكاتب ومرب ومصلح ملتزم بقضايا أمته، حريص على نهضتها وتقدمها في مدارج الحضارة، من خلال تسخير جهوده ونشاطه وعلمه في خدمة الأمة، ووفائه لقيمها ومقوماتها الحضارية. فما هي مقومات النهضة التي حاول الإبراهيمي إرساء دعائمها؟ وما المنهج الذي اعتد به واعتمد عليه في عملية التغيير والبناء؟

الكلمات المفتاحية: : *إصلاح؛ التزام؛ نهضة؛ تغيير؛ بناء*

Abstract: Perhaps the most prominent feature that distinguishes Muhammad al-Bashir al-Ibrahimi's speech is that it is a balanced, and moderate speech in its content and content, and in its dimensions and goals and his loyalty to its civilizational values and components. What are the components of the Renaissance that Brahimi tried to lay its foundations? What is the approach that he used and relied on in the process of change and construction?

Keyword: *repair; commitment; renaissance; A change; Building* .

مقدمة:

ظل الشيخ الإمام محمد البشير الإبراهيمي طوال حياته يصدر عن موقف فكري صريح وثابت، ينافح عنه ويتبناه ويدافع عنه بصدق وجرأة لا يحيد عنه ولا يزيغ رغم

* **المؤلف المرسل**

كثرة المتاعب وشدَّة المصاعب وتجهُّم الأيام والظُّروف، بوعي كامل، وإحساس متيقّظ، مُدركا مسؤوليته تجاه قضايا أمّته، من خلال المشاركة الفعالة في معاركها ونضالاتها، والعمل على تحريرها من أغلال الجهل والتخلف، وتعبئتها ضد أشكال المسخ والتدجين والاستلاب والعبودية، مستجيبا للمبادىء والقيم التي تشربها عقله وقلبه وروحه، حتى صارت قناعة راسخة يعيش لها وبها، ويموت في سبيلها..وعلى ثقل الأمانة التي كان يحملها على كاهله ظل الإبراهيمي يصبُّ عصارة فكره وعلمه وتجربته في وعاء البناء والإصلاح والتغيير والتوعية لإرساء دعائم نهضة شاملة.

1. النهضة: مشروع ورؤية

في سياق حديثه عن مشروعه النّهضوي الذي من شأنه إحياء الأمة وبعثها من مرقدها وسباتها وضخ دماء الاستفاقة والصحوة في عروقها وأوصالها، وحملها على التوثب والإقلاع، والتحرر من أغلال الجهل والعبودية والخذلان والاستكانة، لم يغفل البشير الإبراهيمي عن دور المدرسة وأهميتها في إعداد الأجيال وأبناء الأمة وتحصينهم من عاديات الزمن، وأمراض العصر ومعوقات التقدم والنهوض والتطور، يقول:" المدرسة هي جنة الدنيا والسجن نارها .. والأمة التي لا تبني المدارس تبنى لها السجون، والأمة التي لا تصنع الحياة يصنع لها الموت، والأمة التي لا تعمل لنفسها ما ينفعها ويسعدها، يعمل لها غيرها ما يضرها ويشقيها، والأمة التي لا تحك جسمها بظفرها فترفق وتلتذ، تحكها الأظفار الجاسية فتدمى وتتألم، والأمة التي لا تغضب للعز الذاهب، ترضى بالذل الجليب.." (الإبراهيمي،1981، ص336). ومن ثم وجب أن تحرص الأمة كل الحرص على ما يصلح حالها ويحفظ مصالحها ويحقق غاياتها ويعزز وجودها ويقوي كيانها ويذلل كل المصاعب ويهون كل المتاعب التي قد تعترض سبيلها، بل لابد للأمة كي يكتب لها العز وتدرك المجد وتبلغ العلا أن تطرح أسباب الخلاف ودواعي الفرقة والضعف وتنبذ الصراعات والنزاعات التي تهدم وتبدد كل القوى والقيم التي يعيش بها

ولها كل إنسان، بل لابد للأمة أن يكون لها سبق في مجال تحصيل العلم والثقافة، وأن تكون على قدر كبير من حسن الخلق وجمال الروح، يقول:" الأمة التي تتخذ الخلاف مركبا يغرقها في اللجة، والأمة التي لا تكرم شبابها بالعلم والتثقيف مضيعة لرأس مالها، والأمة التي الأخلاق ملاكها، أمة تتعجل هلاكها.." (الإبراهيمي،،1981 ص 336).

فلابد من الاعتماد على الذات لصناعة الحياة، ومواكبة العصر ومواجهة كل التحديات والرهانات وتجاوز المطبات والمعوقات، ولايتحقق ذلك إلا بحمل لواء العلم " الأمة التي تلد لغيرها أمة تلد العبيد، لا أمة تلد الأحرار الصناديد، والأمة التي تعتمد في حياتها على غيرها طفيلية على موائد الحياة حقيقة بالقهر والنهر وقصم الظهر، والحياة بلا علم متاع مستعار والوطن بلا علم عورة مكشوفة، ونهب مقسم، سنة من سنن الله كسنته في تكوير الليل والنهار" (الإبراهيمي،1981، ص336).

ويولي الإبراهيمي عناية كبرى للمدرسة بوصفها صانعة النهضات وبانية الأمجاد ومؤلفة الأجيال والرجال والحصن الحصين والركن الركين الذي يحمي الأمة من الانحلال والاختلال والاعتلال، يقول:" المدرسة هي طرق الحياة وطريق النجاة وطريق السعادة، وإن الوطن أمانة الإسلام في أعناقنا، ووديعة العرب في ذممنا، فمن بعض حقه علينا أن نحفظ دينه من الضياع، وأن نحفظ لسانه من الانحراف، وأنه لا سبيل إلى ذلك إلا بالمدرسة التي تبنيها الأمة بمالها، وتحوطها برعايتها، وتجعلها حصونا تقي أبناءها الانحلال الديني والانهيار الخلقي، وتحفظهم من ترف الغنى وذل الفقر وتربيهم على الرجولة والقوة، وتوحيد النزعات وتصحيح الفطرة وتقويم الألسنة وتمتين الإرادات والعزائم وتغرس الفضيلة في نفوسهم وتصلح فيهم ما أفسده المنزل والشارع وتروضهم على حب الوطن وبنائه طبقا عن طبق" (الإبراهيمي،1981، ص337) .

إنّ المدرسة في نظره هي التي تؤسس للفرد الصالح الناهض بواجبه، المؤدي لعمله الملتزم بحدوده، العارف، بقيمة وطنه وقيمة نفسه وقيمة الآخرين ومتى عرف المرء

حدوده وحدود غيره كان تفكيره وسلوكه إيجابيا، وكان فاعلا ومؤثرا في كل أفعاله وأعماله، وهي التي تشحذ الهمم والعزائم وتقوم الاختلال وتعالج الأمراض والأدواء، ولابد " أن تفهم الأجيال أن هذا الجيل الذي بنى وشيد، كان جيلا منسجم الذوق، موحد اللمحات الذهنية، متقارب النظرات الفنية...إنه جيل ينظر إلى الحياة نظرة واحدةـ ولا يصمنا باختلاف الذوق، واختلال الذهن وانطماس النظرة، ومازال اتحاد الذوق في أمة دليلا على وحدة تفكيرها وسداد نظرتها.." (الإبراهيمي،1981 ص338). ولعلّ وحدة المشرب، وصفاء المنهل وأصالة المنهج هي الوسائل التي من شأنها تسديد النظر، وتوحيد الرؤية وتذليل المصاعب لإدراك الغايات وبلوغ الأهداف

2.1 الدور الوظيفي للمدرسة في عملية التغيير والتحرير

يرى "الإبراهيمي" في المدرسة المخبر الذي ينتج القيم ويصنع الهمم، ويرعى الذّمم ويُحيي العزائم لارتقاء القمم، وهي المنجمُ الذي يُولّد دواعي التّغيير، ومساعي التّدبير وأسباب التحرير يقول:" إنّ الاستعمار ينظر إلى مدارسكم بعين الغضب، فهل أنتم ناظرون إليها بعين الرضا..إنّه جادٌّ في قتل لغتكم، فهل أنتم جادُّون في إحيائها، وإنّه ينظر إليكم بالعين النّافذة إلى السّرائر، وقد جّس مواقع الضّعف منكم فوجدها في التّفرق والتّخاذل والبخل، فاتّخذ منها دلائل على موت مشاريعكم، فهو يغفل ويتصامم لتموت بأيديكم لا بيده، فيكون له بذلك بلوغُ غرض وإقامة دليل، وإنّه ليحاكم مدرسة بعينها ويترك ما بين أيديها وما خلفها من المدارس.." (الإبراهيمي،1981، ص340).

على أنّ بناء نهضة لايتم باجترار الأقوال وتنميق الخطب، وتدبيج المقالات وإصدار البيانات والاكتفاء بالتنديد والامتعاض، ولكنها تخطيط محكم وتفكير معمق، وتدبير راشد وعمل جاد ، يقول:" كلمة صريحة مريحة، إن كنتم جادين في هذه النهضة، مؤمنين بنتائجها وغاياتها، فكونوا مؤمنين بأن لايتم لها تمام بالأقوال وتخطيط البرامج على الورق، وإنما يتوقف كل شيء فيها على المال" (الإبراهيمي،1981، ص343)، ولا

تنفصل المدرسة عن العلم وتحصيله والعمل وتأصيله، فالعلم بمثابة الفيضان الذي ينبغي أن نستعد لسيوله فنهيىء الطريق ونحصن الجسور لاتقاء مخاطره وكذلك العلم فهو تيار دافع لابد له من حصانة ووقار " العلم إذا انتشرت تباشيره في الأمة، وخالطت بشاشته أرواحها، أصبح كالسيل المتدافع، يقذف تيارا بتيار.." (الإبراهيمي،1981، ص344).

ولعلّ ما يفتح أبواب الأمل ويغذي الرجاء في نفوس الطلبة إعدادهم وإمدادهم بأسباب العلم والتحصيل وتحفيزهم على البذل والجد والعطاء، وتسخير كل الوسائل والقدرات المتاحة في توعية الأجيال وتثقيفها وتربيتها تربية تحصنها من الوقوع في مهاوي السوء والرداءة والجهالة والإحباط واليأس ، يقول:" إذا لم تفتح في وجوه التلاميذ أبواب التعليم انكسرت رغباتهم وفتر شوقهم، وأدى ذلك إلى موت الأمل في نفوسهم، ثم إلى نوع خطير من الزهد في العلم والرجوع إلى الأمية المريحة ولاعذر للأمة في هذا بفقر ولا قلة، فإنها باجتماعها كثيرة غنية غير فقيرة وإن الحجة قائمة عليها بما تنفقه في اللهو وتبدده في الكماليات المباحة والشهوات المحرمة " (الإبراهيمي،1981، ص345)

ويحرص الإبراهيمي كُلّ الحرص على ضرورة ترشيد النّفقات، وحُسن استغلال المال والإعراض عن المفاسد، وعدم إزجاء الوقت في طلب اللّذائذ، والانغماس في الشّهوات والإقبال على المُلهيات التي تستنفد جهودنا، وتُبدّد قدراتنا، وتفكُّك روابطنا، وتنخر قُوانا وتُذهب ريحَنا، وترمينا بالوهن والهوان، والضّعف والتّلاشي، ولا سبيل إلى ذلك إلا بإصلاح المفاسد والنفوس، وإحياء القيم والفضائل والاستقامة والصلاح، والإفادة من تجارب الماضي ودروس الحاضر لبناء المستقبل، والوعي بمطالب الحياة ونواميسها، وسُنن الكون، " إنّ أمّة تُنفق مئات الملايين في الشّهر على القهوة والدخان، وتُنفقُ مثلَها على المُحرّمات، وتُنفقُ مثلها في البدع الضّارة، وتُنفق أمثالَ ذلك كُلّه على الكماليات التي تنقص الحياة ولا تزيد فيها، ثُمّ تدّعي الفقرَ إذا دعاها داعي العلم لما يُحييها لأمّةٌ كاذبةٌ على الله سفيهةٌ في تصرُّفاتها، ومن عدل الله فيها أن لا يُغيّر ما بها حتّى تؤُوبَ وتثُوبَ،

وقد ضربنا لها الأمثالَ وسُقنا العبرَ وحذّرناها من التّمادي في الغيّ، وبشّرناها بابتسام الحياة لها إن هي رجعتْ إلى الله ولبّتْ داعيه، ..وإنّنا نبرأُ إلى الله من أمانة مغشُوشة، ونصيحة مدخُولة، وبلاغ خاظىء" (الإبراهيمي،1981، ص345)

2.منهجه في الإصلاح والبناء:

ولا يزال "الإبراهيمي" يُلّحُ ويُؤكّدُ على أهمّية العلم وأثره العظيم في استنهاض الشُّعوب والمجتمعات، وصحوة الأمم وتحرُّرها من أغلال الجهل، ودهاليز التّخلُّف، وسراديب الانحطاط،، فنراه لذلك يحرصُ على محاربة العبث والفساد، والتّحذير من لصوص العقل ولصوص المال، بل إنّ لصوص العقول أخطر من لصوص الأموال، يقول:".. ولكن ما قولُكم يرحمكم الله، إذا اعترض أبناءَكم، وهم في طريقهم إلى العلم، لصوصٌ يحاولون أن يقطعوا عنهم طريقه ؟ أتسكتون وتقعدون عن نجدتهم ، وتتركونهم للصوص يعبثون بهم..؟أم تهبّون سراعا إلى استخلاصهم من أيدي اللّصوص؟ ألا إنّ لصوص العقل أفتكُ من لصوص الأموال وأشدُّ منهم عبثا وإفسادا.." (مرتاض،1983، ص356)، ويدرك "الإبراهيمي" بخبرة العالم ورؤية المصلح، ومنهج المربّي وثقافة المفكر الأديب أن لا مجال لبناء الإنسان الواعي السّاعي لتحقيق غاياته الكبرى، ومطالبه في الحياة، الرّاعي لمصالحه إلا بالأخذ بأسباب العلم النافع، وعدم الزُّهد فيه والانصراف عنه، والبعد عن الدّجل السّياسي والولاء الحزبي، والتّقليد الأعمى، واجترار القديم، والبكاء على الماضي، واتّباع كُلّ ناعق.. يقول:" العلمَ العلمَ أيُّها الشَّبابُ لا يُلهينَّكُم عنه سمسارُ أحزاب، ينفخُ في ميزاب، ولا داعية اُنتخاب، في المجامع صخّاب، ولا يلفتنّكُم عنه مُعلّلٌ بسَراب، ولا حاو بجراب، ولا عاو في خراب يأتمُّ بغُراب...فكلُّ واحد من هؤلاء مُشعوذٌ خلّابٌ، وساحرٌ كذّابٌ..إنّكم إن أطعتم هؤلاء الغُواة وانصعتم إلى هؤلاء العُواة خَسرتْكُم أنفسُكُم وخسرتم وطنَكم" (مرتاض،1983، ص356).

ولا تكاد تخمُدُ عاطفةُ الأبوّة المتوهّجة، الحريصة على إسداء النُّصح وإشاعة الوعي، وشحذ الهمم واستنهاض العزائم، الدّاعية إلى الإمساك بأسباب النّصر والغلبة والسّبق والتّفوّق في مجالات العلم والعمل، السّاعية إلى إدراك المجد وبلوغ المعالي، الرّاعية للفضائل والمكارم المحافظة على الدّين والوطن واللُّغة، في مشروع "الإبراهيمي" النّهضوي، بالسّير على نهج الآباء والأجداد الذين جمعوا بين أصالة الرّأي والشّجاعة والسّداد، ونبذوا الفُرقة وحملوا لواء الاجتهاد والجهاد، وفي هذا يقول على لسان جمعية العلماء المسلمين:" .. وقفتْ من الشّاب المسلم الجزائري موقف الأب المُرشد النّاصح المُشفق تدعُوه إلى تعاليم دينه، وبيان لغته ومعرفة تاريخه والمحافظة على خصائصه وأخلاقه، وأن يفهم الحياةَ ويواجهُها بحقائقها، وأن يُزاحمَ الأجنبيَّ في علمه وعمله بالمنكب القويّ، وأن لا يكون فارغا في هذا الزمان الملآن، ولا عابثا في هذا العصر الجادّ، وأن يُكاثر شبابَ العالَم علما بعلم وعملا بعمل .. وأن يعمل بدستور شوقي للشّباب:

هل علمتُم أمّة في جهلها ظهرتْ في المجد حسناءَ الّرداء
باطنُ الأمّة من ظاهرها إنّما السّائلُ من لون الإنَاء
فخُذُوا العلمَ على أعلامه واطلُبُوا الحكمةَ عند الحُكَمَاء
وخُذُوا الدُّنيا بسُلطان فما خلقن نَضرْتها للضُّعَفَاء
واقرءُوا تاريخَكُم واحتفظُوا بفصيح جاءكُم من فُصَحَاء

(الإبراهيمي، 1981، ص348)

ويُوضّحُ موقفه من الحضارة الغربية التي سادت بعد أن استحكمت واستقوت، حيثُ ذهب إلى ضرورة الأخذ بما قامت عليه من أسباب العلم والمعرفة، والقوّة الإيجابية والإعراض عما تنطوي عليه من انحرافات مخالفة للفطرة منافية للإنسانية، معادية للأخلاق، بقوله:" وقفنا من الحضارة الغربية موقفَ المُحترس الحَذر، ندعُو إلى ما فيها من علم وقوّة، وننهى عمّا فيها من قُشُور وتَوافهَ ورذائلَ" (الإبراهيمي،1981، ص349)،

ومناطُ الأمر كُلّه هو صَلاحُ الإنسان، وصَلاحُه مرهونٌ بتقوى الله والتّوكّل عليه والتحلّي بالصّبر في مواجهة المحن والأزمات، والتزام الحقّ، ومغالبة النّوائب والصروف بعزم وهمّة وإرادة ورويّة وأناة وتثبُّت، بمنأى عن التّردّد والتّواكل والارتجال يقول:" أوصيكم بتقوى الله فهي ملاك كل شيء وأوصيكم بالاعتماد عليه فهو ناصر المستضعفين، وأوصيكم بالصبر فهو السلاح الذي يفل الأسلحة، واقرنوه بالحق، فقد قرن اللهُ بينهما، أُوصيكم بالصّبر على جفاء الإخوان وتَجهُّم الزّمان، وتنكُّر الأقوياء، ووقع الأحداث وعلى تلكُّؤ الأمّة في الاستجابة، وتصاممها عن صوت الحقّ، وأُوصيكُم باستقبال الحوادث بالصّدر الرّحب والعزيمة الثّابتة المُصمّمة، والحزم النّافذ الحاسم، فإنَّ التَّردُّدَ مَزلَّةُ قَدم، وأُوصيكم بالرَّويَّة والرَّأي والأناة في الحكم على الأشياء فإنَّ الارتجال مجلبةُ نَدَم" (الإبراهيمي،1981، ص354-355).

ومن ذلك موقفُه من قضيّة الجديد والقديم التي كانت مثارَ اختلاف كبير بين القدامى والمُجدّدين ودُعاة الأصالة والمُعاصرة، ونَراهُ يؤكّدُ على معرفة القديم وتعمُّقه، وتصحيح ما فيه من اختلالات وسدّ ما فيه من ثغرات، قبل التّطلُّع إلى اكتساب الجديد، ذلك أنَّ درء المفاسد خيرٌ من جلب المصالح، وهو ما ذهب إليه بقوله:" أوصيكم بإتقان القديم وتصحيحه، قبل التّفكير في الجديد، فإنَّ تشعُّبَ الأعمال مضيعةٌ لجميعها، وإنَّ إصلاح الموجود خيرٌ وأجدى من السَّعي للمفقود" (الإبراهيمي،1981، ص355).

1.2 قوة شخصية الأمة في حفظ هويتها:

وفي معرض حديثه عن اللُّغة العربية نرى "الإبراهيمي" يُشيد بعبقرية هذه اللغة ويُنوّهُ بخصائصها وجمالها، الأمرُ الذي بوّأها المكانةَ التي تليق بها في الجزائر، وكيف أنَّ العربية استطاعت أن تكسب القلوب والعقول، فلم تَعُد غريبة ولا دخيلة، لاسيَّما أنَّها ارتبطت بحركة الفتوحات وانتشار الإسلام والعربية في كنف العدل والعلم والاعتدال، بعيدا عن العصبية والحميّة. ولعلَّ إرساءَ دعائم اللغة العربية هو جزءٌ من توطين السّيادة،

وتحصين الهُويّة وتثبيت معالم الشّخصية الوطنية التي بدونها لا يمكن بناءُ نهضة أو إصلاح الفرد والمجتمع باعتبار أنَّ اللُّغة هي فكرُ الأمّة ولسانُها يقول:" اللغة العربية في القطر الجزائري ليست غريبة ولا دخيلة، بل هي في دارها وبين حماتها وأنصارها وهي ممتدة الجذور مع الماضي مشتدّة الأواخي مع الحاضر، طويلة الأفنان في المستقبل.." فلا مناص لنهضة أيّة أمّة من تثبيت مقوّماتها، وعناصر هويّتها، ومعالم شخصيتها في قلوب أبنائها وعقولهم، لتصبح مرجعَها ووعاءَها الذي تستمدُّ منه قوَّتها وهديَها ومنهجَها ومذهبَها في الحياة، يقول:".. ولا توجدُ الأمّةُ إلا بتثبيت مُقوّماتها من جنس ولغة ودين وتقاليد صحيحة، وعادات صالحة وفضائل جنسية أصيلة، وبتصحيح عقيدتها وإيمانها بالحياة وبتربيتها..وترى أنَّ وجود تلك المقوّمات شرطٌ لوجودها، فإذا انعدم الشَّرطُ انعدم المشروطُ" (الإبراهيمي 2007، ص188).

بل لابدّ للأمّة إذا ابتغت العزّ والمجد والعلا أن تعتزّ بمقوّمات شخصيتها وتعتدّ بها وتتشدّد في الدّفاع عنها باعتبارها شرطا لوجودها، ينضاف إلى ذلك أنّ " الإبراهيمي" يعمدُ في معالجته للقضايا والشؤون الكبرى للأمّة إلى تغليب الجانب الإيجابي على الجانب السلبي، الأمر الذي ساعده على تحكيم العقل والروية والأناة، فلابدَّ من الاهتمام بالأجيال " وبتربيتها على الاعتداد بنفسها والاعتزاز بقوّتها المعنوية، والمغالاة بقيمها وميراثها، وبالإمعان في ذلك كُلّه حتَّى يكونَ لها عقيدةٌ راسخةٌ تناضلُ عنها وتستميتُ في سبيلها..." (الإبراهيمي،2007، ص188).

ومن ثمّ حمل "الإبراهيمي" لواء الإصلاح والتغيير لبناء نهضة شاملة، فكانت جهودُه وأعمالُه ثورة عارمة على الجمود والتقليد، وبعثا لمعالم الحضارة العربية الإسلامية، وإحياء لروح الاجتهاد والتَّحرُّر من أغلال الجهل والخنوع والاستعباد، ورفض جميع أشكال الاستعمار، يقول "الإبراهيمي" في كلمة موجَّهة لطلائع الجمعية التي ينبغي أن تتولَّى" القيادة بإرشاد العلم، فتثأر لأمّتها من الجهل بالمعرفة، ومن الفقر بالغنى، ومن

الضّعف بالقوّة، ومن العُبودية بالتّحرير وتكتسح من ميدان الدّين بقايا الدّجّالين، ومن ميدان السّياسة والنّيابة بقايا السماسرة والمتاجرين ومن أفق الرّياسة بقايا المشعوذين والأمّيين" (الإبراهيمي،1981، ص49)، وهو يدعو إلى نبذ الخمول والتّواكل والجمود والتّعصُّب المذهبي مثلما يدعو إلى الأخذ بالعلم والمعرفة. ولعلّ منهج "الإبراهيمي" في التّغيير يقوم أكثر ما يقوم على خاصية أساسية، وهي ضرورةُ فهم الأشياء والوعي بالحقائق، لأنَّ ذلك كفيلٌ بوصف الحلول وتشخيص الخلل والعلل، وإيجاد البدائل " من أراد أن يخدم هذه الأمّة فليقرأها كما يقرأ الكتابَ وليدرسها كما يدرسُ الحقائقّ العلمية، فإنْ استقام له ذلك استقام له العملُ وأمن الخطأَ وضمن النّجاحَ، فإن تصدّى لأي عمل يمسُّ الأمّة من غير درس لاتّجاهها ولا معرفة بدرجة استعدادها كان حظه الفشل" (الإبراهيمي،1981، ص325-326)، وهذا المنهج في التّعليم هو ما كان ينعاه "الإبراهيمي" على معاصريه ممن نصّبوا أنفسهم رجالات للتّعليم، يقول"إنه هيكل بلا روح، خال من مُنشّطات الفكر والعقل" (الإبراهيمي،1981، ص327).

3. المناهج التعليمية: تخطيط وتصميم وتقويم

إنّ أيّة منظومة تربوية تعليمية كي يكتب لها النّجاح وتُحقّق غاياتها في إرساء دعائم نهضة، لابُدَّ أن تقوم على أسس علمية وطرائقَ مدروسة مضبوطة، ومناهج رصينة محكمة مستمدّة من خصائص الأمَّة، مُستوحاة من مرجعيتها الفكرية والثقافية، مواكبة لروح العصر مستجيبة لمتطلبات الحياة ، يقول:" إنَّ السبيل القويم المؤدّي إلى حفظ الجيل الجديد من الشُّرور المُتوارثة، وإلى توحيد أفكاره ومشاربه واتّجاهاته وإلى تصحيح فهمه للحياة، وتسديد نظرته إليها وتشديد عزيمته في طلبها، هو المدرسةُ العربيةُ التي تصقل الفكرَ والعقلَ واللّسانَ..." (الإبراهيمي،1981، ص332)، وتقوم فلسفة التعليم عند "الإبراهيمي" على الفاعلية وقوة التأثير في المتعلم التي تصنع منه فردا فعالا صالحا وإيجابيا في تفكيره وفي سلوكه متزنا في معاملاته وعلاقاته مع الآخرين،واعيا بحقوقه،

ناهضا بواجباته، شاعرا بمسؤوليته تجاه نفسه وتجاه غيره، ملتزما بحدوده ومن ثم فغاية التعليم عنده تعريف الجيل بنفسه، ومواكبته لروح العصر وقوته، فنراه في كلمته للمعلمين يركز على مسائل النظر والتَّحقيق، وطرائق التَّحليل والسُّؤال، والنَّقد البنَّاء، وفهم الأسباب وتعليل الأحكام وأسلوب المقارنة والاستنباط، وصحَّة التَّصوُّر وسَعة الإدراك "رَبُّوهم على استخدام المواهب الفطرية من عقل وفكر وذهن وعلى صدق التّصور وصحّة الإدراك ودقَّة الملاحظة والوقوف عند حدود الواقع ربوهم لبناء الأمور على أسبابها والنَّتائج على مقدمَّاتها علما وعملا.. بيّنُوا لهم الحقائق واقرنُوا لهم الأشباهَ بالأشباه وبيّنوا لهم العلل والأسباب حتَّى تتبُتَ في نفوسهم من الصّغر ملكةُ التَّحليل، فإنَّ الغفلة عن الأسباب هي إحدى المُهلكات لأمَّتكم..." (الإبراهيمي،1981، ص333)، ويُلحُّ في مشروعه الإصلاحي على ضرورة ربط العلم بالعمل، لأن الحياة لا يمكن أن تكون إلا بوجهين وجه علمي وآخر عملي، يقول: يا أبناءنا إنّ الحياة قسمان حياة علمية وحياة عملية، وإنّ الثانية منهما تُنبىء عن الأولى قوة وضعفا إنتاجا وعقما، وإنَّكم لا تكونون أقوياءَ في العمل إلا إذا كنتم أقوياءَ في العلم.. ولا تكونون أقوياءَ في العلم إلا إذا انقطعتم له ووقفتم عليه الوقت كُلَّه... ثُمَّ يُضيفُ أنتم اليوم جنودُ العلم، فاستعدُّوا لتكونوا غدا جنودَ العمل فإنَّ الوطن يرجو أن يبني بكم جيلا قويَّ الأسْر شديدَ العزائم سديدَ الآراء، متينَ العلم متماسكَ الأجزاء، يدفع عنه هذه الفوضى السَّائدة في الآراء وهذا الفتور البادي على الأعمال وهذا الخمول المخيم على الأفكار..." (الإبراهيمي،1981 ص234)، بل لابُدَّ من ربط الحياة العلمية بالحياة العملية حتَّى يؤتي العلمُ ثمارَه، فيكون أداة للبناء والنفع، وجلب الصَّلاح والرُّقي " أمزجوا العلم بالحياة، والحياة بالعلم، ولا تعمروا أوقاتكم كلها بالقواعد، فإن العكوف على القواعد هو الذي صيّر علماءنا مثل " القواعد"، وإنما القواعد أساس وإذا أنفقت في القواعد فمتى يتم البناء..." (الإبراهيمي،1981، ص 333).

لقد اتّخذ "الإبراهيمي" من التّربية والتّعليم أرضية صلبة ومطية في سبيل إحداث التغيير والتجديد، والإصلاح والبناء، بناء الإنسان وتغيير ذهنيته ونفسيته، وتجديد مفاهيمه وقناعاته ومنهجه في الحياة، ورؤيته للعصر، رغم تعنت الزمان وجحود الإنسان وتكالب العدو والسلطان، فكان لجهوده وآرائه أثر عميق في تكوين وعي اجتماعي وحس حضاري ويقظة خلاقة أسهمت في إرساء نهضة سياسية واجتماعية ودينية شاملة، فكان لابد للمرء كي يتحرر ويستنير وينهض من كبوته ويصحو من غفلته،ويشق طريقه نحو البناء والتقدم أن لا يمضي وقته في لوم الأقوياء، ومعاتبة العملاء والسفهاء ومجادلة الخبثاء، بل عليه أن يُشمّر على سواعد الجدّ والعمل والبذل والتّضحية إذ " ليس من سداد الرّأي أن يُضيّع الضعيف وقته في لوم الأقوياء، وليس من المجدي أن يدخل معه في جدل ..فالواجبُ أن نلوم أنفسَنا على التَّقصير، ونقرعَها عن الانقياد لآراء هؤلاء القوم ولإرشادهم.. أمَّا لومُنا إيَّاهم، فهو لومُ الخروف للذّئب، وأما طمعُنا في توبتهم فهو طمعُ الخروف في توبة الذّئب فإن أردتم أن تروا المثلَ الخارقَ من توبة الذّئب، فقلّمُوا أظافره، واهتمُوا أنيابه" (الإبراهيمي،1981، ص385). نعم لقد أدرك "الإبراهيمي" أنّ التّربية والتّعليم هُما الحصنُ الحصين والرُّكنُ الرّكينُ والسّلاحُ القويُّ لبناء مجتمع واع قادر على مكافحة الاستعمار والتّصدّي لمحاولات المسخ والتغريب التي تعرّض لها المجتمع الجزائري، ومن ثمّ قاومَ باستماتة الاستعمار الثّقافي بلا هوادة، لأنّه أدرك أنّ فرنسا تستهدف فرنسة الشّعب الجزائري وطمسَ معالم شخصيته العربية الإسلامية، ومن ثمّ أكّد أنّ واجب التّعليم في الجزائر ترسيخُ الذّات العربية الإسلامية، فكان اهتمامُه بتعليم القرآن الكريم والعلوم الدّينية والعربيّة، وتربية الفرد تربية تُعنى بالإيمان وبالأخلاق، وبالعلم والعمل، و"الإبراهيمي" هو العالمُ المُجتهدُ المُجاهدُ والمُربّي الحكيمُ والسّياسيُ الخبيرُ، والفقيهُ المُبرّزُ، والأديبُ الأريبُ والمُثّقفُ المُجدّدُ، الذي ينبذُ الجُمودَ والتّقليدَ، ويُنكرُ التّعصُبَ والانطواءَ، وهو المصلحُ الذي فقه الدّين، وأخذ بقسط وافر من العلوم والمعارف

التي سادت عصره، مُلّمٌ بتراث العرب والمسلمين، يقول:" إنّ في الفقه فقها لا تصل إليه المداركُ القاصرة، وهو لُبُّ الدّين، وروحُ القرآن، وعصارة سُنّة محمد صلى الله عليه وسلم، وهو نفسيُر أعماله وأقواله وأحواله ومآخذه ومتاركه، وهو الذي ورثه لأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، وهو الذي يَسعدُ المسلمون بفهمه وتطبيقه والعمل به، وهو الذي يجلب لهم عزّ الدُّنيا والآخرة، وهو الذي نريدُ أن نُحييه في هذه الأمّة فتحيا به وتُصحّح به عقائدها، وتقوم به فهومُها، فتصحّح به عباداتها وأعمالَها.." (الإبراهيمي،1981، ص203)

4.دور المثقفين والعلماء في نهضة الأمة

لا يستقيم أمرُ الأمّة ولا يعلو مقامُها إلا إذا صَلُح علماؤُها وصلح منهجُهم في الدّعوة والإصلاح، واستقامت أخلاقُهم وصدقُوا في أعمالهم، وأخلصُوا في مساعيهم، يقول في هذا الشأن:" وما كانت كلمةُ أولئك العلماء نافذة ذلك النفوذ الخارق للعادة إلا لأنّهم نسَوا أنفُسَهم وذكرُوا الله وآثروا ما عنده من منازل الكرامة على ما عند الأُمراء من الرُّتب والألقاب، وما عند الأغنياء من المال والمتاع، وتجردوا من الرغبة التي تذل الرقاب، ومن الرهبة التي تكمم الأفواه، فإذا قالوا قال الله، وإذا قال الله بطل كل قول وكل قائل " (الإبراهيمي، 1981 ص 568)، فلابدّ للعالم المجتهد أن يكون مُتحرّرا من كُلّ تبعية مستقلا عن الانتماءات الحزبية والولاءات السّياسية متبوعا لا تابعا حتى ينجح في مساره ومسيرته الإصلاحية التي في ظلها تتأسس النهضات وتقوم الحضارات وتتقدم الأمم والمجتمعات، ومن ثمّ هاجم "الإبراهيمي" علماء البلاط الذين ينشرون الأغلاط والاختلاط، بقوله:" أصبح علماءُ الدّين تابعين لا متبوعين، وهانُوا على أنفسهم فهانُوا على الله وعلى الناس وتركُوا سياسة العامّة بالدّين، لمن يَسُوسُها بالدُّنيا، فلا بدين تمسّكتْ ولا بدُنيا ظفرت" (الإبراهيمي،1981، ص 568)

ولا يزال "الإبراهيمي" في كُلّ ما كتب من خُطَب ومقالات، وقدّم من محاضرات ودروس يُلحُّ على أنّ عمادَ الأمّة وقوامَها هم شبابُها الذين هم مناطُ قُوّتها، وسرُّ بقائها ومظهرُ عبقريته،ا وعُدُّتها في كُلّ الأزمان والظُّروف، وخيرةُ شبابها هم المثقّفون الذين يُشيّدُون مجدَها وعزَّها ويُعلُون مقامَها بين الأُمم، ويحملون لواءَ فخرها ومعاليها، يقول:" شبابُ الأمّة هُم عمادُها، وهم مادّةُ حياتها، وهم سرُّ بقائها، وخيرة شباب الأمة هم المتعلمون المثقفون، البانُون لحياتهم وحياة أمّتهم على العلم، وصفوةُ الشّباب المُتعلّم المُثقّف هم المُتشبّعون بالثّقافة الإسلامية العربيّة والمُقدّمُون لها، لأنّهم هم الحافظون لمقوّماتها والمحافظون على مواريثها، وهم المُثبّتُون لوجودها، وهم المُصحّحُون لتاريخها، وهم الواصلون لمستقبلها بماضيها.." (الإبراهيمي،1981، ص365)

ومثلما للأمّة حقٌّ على شبابها المُتعلّم المُثقّف في تنوير الأجيال وتحرير العقول والنُّفوس، وبناء مجدها، فإنّ لهذا الشّباب حقّا على الأمّة في تحفيزه وتوفير أسباب التّحصيل العلمي له، وإمداده بعوامل النّجاج ودواعي التّفوق والسّبق، إلى جانب الاهتمام بتوحيد مشربه وتصحيح اتّجاهه بما يضمنُ له التّوازنَ النّفسيَ والرُّوحي والذّهني والبدني.

ولا ينفعُ الشّبابُ أمَّتَهُ إلا إذا جمع بين صحّة العقل، وصحة الجسم، أمّا صحّةُ العقل فإنّ علينا بُنيانَها، وفي ذممنا ضمانُها، وأمّا صحّةُ الجسم فمن المُسكّن الصّالح مُبتداها، وإلى الغذاء النّافع مُنتهاها، وكلا هذين دَينٌ على الأمّة واجبُ الأداء" (الإبراهيمي،1981، ص366).

ويبقى المالُ عاملا قويّا في فتح آفاق العلم، وطَرْق أبوابه، وحيازة مفاتيحه وإحيائه ومحاربة الجهل والهمجية والتوحش، وقيمتُه إنّما هي في حُسن استغلاله يقول:" المال الذي تُنفقُه في المُحرّمات يَسُوقُك إلى النّار، والمالُ الذي تُبدّدُه في الشّهوات يجلبُ لك العار، والمالُ الذي تدّخرُه للوَرَثة الجاهلين تُهديه إلى الأشرار، وتبوءُ أنت بالتّبار والخَسار، أمّا

المالُ الذي تُحيي به العلمَ، وتُميتُ به الجهلَ فهو الذي يُتوّجُك في الدُّنيا بتاج الفَخَار، ويُنزلك عند الله في منازل الأبرار " (الإبراهيمي،1981، ص366).

5. استلهام تجارب الماضي ومواكبة روح العصر:

لا سبيل إلى نهوض الأمّة إلا باسترشاد ماضيها وتعمُّقه والاقتباس من معالمه وملامحه، والاهتداء به في استنطاق الحاضر، واستشراف المستقبل، والاقتداء بالنّماذج الصّالحة التي صنعتْ الأمجادَ والتّاريخَ، وغيّرتْ مجرى الحياة، وهذا ما عمل العدوُّ على طمسه ومَحوه، وتزييف حقائقه، وتشويه وقائعه" إنّ القوم يَحتقرُون حاضرَنا الذي أوصلونا إليه، ويعتقدون أنّنا صبيان، فيتذكّرُون ماضيَهم ليبنُوا عليه حاضرَهم ومستقبلَهم، ويُنكرون علينا ذلك، فَمن حقّنا، بل من واجبنا أن نعرف ماضيَنا والرّجالَ الذين عَمَرُوه في ميادين الحياة، فنعرف من هو أبو بكر؟ ومن هو عمر؟ ونعرف ما صنع عقبةُ وحسّانٌ وطارق وموسى وطريفُ في الغرب؟ وما صنع المُثنّى وسعدٌ وخالدٌ وقُتيبة في الشّرق " (الإبراهيمي،1981، ص384).

وكم هي كبيرةٌ وملحّة حاجةُ الأمّة إلى رجالاتها وقادتها وعظمائها وكبارها، من ساستها وسادتها الذين ينيرون لها الدرب ويدفعون عنها العسف والإجحاف ويحملون عنها الأعباء والأثقال، ويقودونها في معترك الحياة يقول:" وإنّ الأمم إذا اضطرها شعورُها بالحاجة إلى الشّيء، اتّجهت أنظارُها إلى قادتها وتحرّكتْ ألسنتُها بالتّساؤل عن رجالها، فإذا كانت سعيدة مُهيّأة للخير لبّاها رجالُها من أوّل دعوة، ووجدت قادتَها في مُقدّمة الصُّفوف، وإذا كانت شقيّة مُقدّرا لها الذُّل والخذلانُ وجدتَهم لاهين لاعبين أو مُتنابذين مُضطربين مُنعزلين في أخريات القوافل مُنتشرين على هوامش رَكب الحياة.. " (الإبراهيمي،1981، ص123). ولا يزالُ "الإبراهيمي" في كُلّ مَساره ومسيرته وجُهوده الفكرية والنّضالية والإصلاحية يُلحُّ على أهمّية دَور المُثقّف في إحداث التّغيير في بنية المجتمع وتعبئته ذهنيا ونفسيا، وتهيئته للنُّهوض، وشَحنه بالطّاقات الإيجابية، وروح

الفعالية، يقول:" والمثقفون في الأمم الحيّة هم خيارُها وسادتُها وقادتُها، وحُرَّاسُ عزّها ومجدها. تقومُ الأمَّةُ نحوهم بواجب الاعتبار والتّقدير، ويقومُون هم لها بواجب القيادة والتّدبير .. والمُثقّفُون هم حفظةُ التّوازن في الأُمَم، وهُم القَومَةُ على الحُدود أن تُهدم، وعلى الحُرُمات أن تُنتهك، وعلى الأخلاق أن تزيغ وهم الميزانُ لمعرفة كُلّ إنسان حدَّ نفسه، يراهُم العاميُّ المُقصّرُ فوقه فيتقاصرُ عن التّسامي لما فوق منزلته، ويراهُم الطّاغي المُتجبّرُ عُيُونا حارسة فيتراجعُ عن العبث والاستبداد .." (الإبراهيمي،1981، ص127).

على أنّ أوّل ما يجب أن يضطلع به المثقّفون ويؤدّونه تجاه أنفسهم وإزاء أمّتهم أن يلتفتوا إلى أنفسهم فيأخذوها بالإصلاح والمراجعة والنّقد الذّاتي، كُلٌّ في موقعه، ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

6.القدوة والفعالية :

لا يصلُحُ شأنُ الأمّة ولا يستقيم أمرُها، ويستوي مقامُها، إلا إذا نهض المثقفون بالأعباء والمسؤوليات الملقاة على كواهلهم، فنراه يُؤكّدُ على" أنّ أوّل واجب على المثقّفين إصلاحُ أنفسهم قبل كُلّ شيء، كُلٌّ واحد ذاتُه، إذ لا يُصلحُ غيرَه مَن لم يُصلح ذاتَه، ثُمّ إكمالُ نقائصهم العلمية واستكمالُ مؤهّلاتهم التّثقيفية حتّى يَصلُحُوا لتثقيف غيرهم.." (الإبراهيمي،1981، ص128)، وأمّا العلمُ فهو رأسُ الأمر وسنامُه وعمادُه، ومن ثمّ ينبغي لطلبة العلم أن يحرصوا على طلبه ويجتهدوا في تحصيله، ويبذلوا كل جهدهم في طرق أبوابه وإدراك أسبابه ونيل لبابه والاستعداد لعبابه بوصفه طريقا للمعالي والجمال والخلال،يقول:" لا تعتمدُوا على حلق الدروس وحدها، واعتمدوا معها على حلق المُذاكرة. إنّ المذاكرة لقاحُ العلم فاشغلوا أوقاتكم حين تخرُجُون من الدّرس بالمُذاكرة في ذلك الدّرس، إنّكم إن تفعلوا تنفتح لكم أبوابٌ من العلم، وتَلُحْ لكم آفاقٌ واسعةٌ من الفهم .." (الإبراهيمي،1981، ص203)، فلا سبيل إلى الرُّقي والنهّضة إلا إذا كان حظُّ أبناء الأمّة من العلم والثّقافة موفورا، وسعيهم مشكورا، وليس فيهم مغرور ، وعملُهم تامّا لا مبتورا،

ليتحقّق لهم الفهمُ والوعيُ والصّحوةُ واليقظةُ والنّهضةُ، فلا مجال للعبث والتّهريج والبهرج والاكتفاء بالسّطحيات والشّكليات، والأخذ بالقشور، والارتهان للهو والعبث، والتفرُّغ للشّهوات والملذّات، فتضيع الأمّةُ، وتفقد بوصلة التّقدم والنّجاة، وتسقط في مهاوي السُّوء والرّداءة والانحطاط والتّلاشي والاندثار، إلى جانب عدم الوقوع والسقوط في الوحل السياسي، والانخراط في الصراعات الحزبية والإيديولوجية التي تفسدُ الأدب، وتُشوّهُ الثّقافة، وتُفرغ العلم من محتواه، وتبدّدُ الوقتَ فيما لا ينفع، وتُشتّت العقولَ، وتوغرُ الصُّدورَ وتُوهنُ النُّفوس وتُصدّعُ الرُّؤوس، يقول:" اتركوا المناقشات الحزبية والخلافات السّياسية لأهلها، المُضطلعين بها، المنقطعين لها، ودعُوا كُلَّ قافلة تسير في طريقها، وكُلَّ حامل لأمانة من أمانات الوطن مضطلعا بحملها، قائما بعهده فيها.." (الإبراهيمي،1981، ص204) بالإضافة إلى ضرورة توحيد التّصورات والمفاهيم وتقارب الذّهنيات والمشرب والمرجع، لأنّ من شأن ذلك أن يمنح الأجيال تماسكا وانسجاما في الرؤى والاتّجاهات، واتّساقا في المناهج والطّرائق والأساليب والغايات، وهو ما أشار إليه بقوله:" إنّ الذّبذبة التي شهدنا آثارها السّيّئة في هذا الجيل الذي نحن في آخره، معظم السّبب فيها آت من قارئيه ومُتعلّميه- على قلّتهم- فهم على تفاهة معلوماتهم وقلّة محصولهم من المعرفة، لا يرجعون إلى أصل واحد في التّعليم ولا إلى منهج واحد في التّربية، وإذا اختلفت الأصولُ والمناهج في أمّة واحدة كانت كلّها فاسدة، لأنّ الصّالح كالحقّ لايتعدّد ولا يختلف، وخيرُ المناهج لأمّة كأمّتنا في ظرف كظروفنا ما خرج سالكُه بفكر صحيح، وإن لم يخرج بفكر كثير، وإنّ رجائي أن يكون هذا المرشد سببا في توحيد أفكار هذا الجيل وفي تصحيح اتّجاهه إلى العلم والحياة " (توفيق جعمات،2010 ، ص256-257)

كما لا يليق بالمُربّي ولا ينبغي له أن ينأى بنفسه عن الحياة ومطالبها وشروطها وظروفها، بل يتوجّبُ عليه أن يُسهم في صُنع الحياة والتّأثير في واقع الأحداث ومجراها واتّجاهها، ومن ثمّ يقعُ على هؤلاء عبءُ مواجهة التّحدّيات، والعمل على تذليل المصاعب

والتُّكيّف مع التّحولات، ومجاراة روح العصر، وما يتطلّبه من وعي وصبر وشجاعة وخبرة، يقول:" فجماع أمر العلماء إذ ذاك أنهم كانوا يقودون القادة وما رفعهم إلى تلك المنزلة- بعد العلم والإخلاص- إلا أنهم كانوا حاضرين غير غائبين.. كانوا يحضرون مجالس الرأي مبشرين شاهدين، وميادين الحرب مغيرين مجاهدين، طبعهم الإسلام على الشجاعة بقسميها شجاعة الرأي، وشجاعة اللقاء.. " (الإبراهيمي،2010، ص307)، فضلا عن أنّ المصلح والمربّي والمُعلّم لابُدّ أن يكونوا قدوة صالحة في أفعالهم وسلوكهم وأخلاقهم ومواقفهم، لأنّ العبرة بالأفعال التي هي مناطُ التّأثير في النُّفوس والعقول والقلوب، وهي أساسُ التّغيير والتّحرير والتّنوير، يقول:"الوسيلة الكبرى في نجاحه في هذه القيادة هي أن يبدأ بنفسه في نقطة الأمر والنهي، فلا يأمر بشيء مما أمر به الله ورسوله حتّى يكون أوّل فاعل له، ولا ينهى عن شيء مما نهى اللهُ ورسولُه عنه حتّى يكون أوّل تارك له..كُلُّ ذلك ليأخذ عنه النّاسُ بالقدوة والتّأسّي أكثر مما يأخذُون عنه بواسطة الأقوال المجرّدة والنّصوص اللّفظية، لأنّ تلاوة الأقوال والنّصوص لا تعدُو أن تكون تبليغا، والتّبليغُ لا يستلزمُ الاتّباع، ولا يعدُو أن يكون تذكيرا للنّاسي وتبكيتا للقاسي وتنبيها للخامل وتعليما للجاهل.." (الإبراهيمي،1981، ص271).

وقبل هذا وبعده ينبغي أن يَصدُق المُربّي والمُثقّفُ في مسعاه، ويُخلص في دعواه ويصغي لضميره، ويحرص على أداء الأمانة، والنهوض بواجبه، وتلكم هي مقاييسُ الشُّعور بالمسؤولية، وابتغاء مرضاة الله، لذلك نراه يُنوّه بُجُهُود السّلف الذين تحقّقت فيهم هذه الصّفاتُ فصدَقُوا " ما عاهدوا الله عليه، وفهموا الجهاد الواسع، فجاهدوا في جميع ميادينه فوضع الله القبول في كلامهم عند الخاصة والعامّة، وأنّ القَبول جزاءٌ من الله على الإخلاص يُعجّلُه لعباده المُخلصين، وهو السّرُّ الإلهي في نفع العالم والانتفاع به..هو الفارقُ الأكبرُ بين صَولة العلم وصولة الملك.." (الإبراهيمي، 1981، ص112).

خاتمة:

استطاع "البشير الإبراهيمي" بفضل غزارة علمه وسعة ثقافته، ونفاذ رؤيته وطُول تجربته وقوة شخصيته، ونضج فكره، وسداد رأيه أن يُؤسّس لمشروع نهضة علمية وفكرية، ويُرسيَ دعائمَ صَحوة ثقافية واجتماعية قوامُها التَّوعيةُ والتّثقيفُ والتّهذيبُ، وتحريرُ العقول والنُّفوس من الجهالة والتّخلف، أتاحتْ له وضعَ استراتيجية مُحكمة تقومُ على التّخطيط والتّدبير، وتشخيص الأدواء ووصف الحلول والدّواء، في ضوء فهم الواقع وتطوّراته وتحوّلاته، والوعي بالحاضر، ومجاراة روح العصر، والاستزادة بالعلم والمعرفة، وربط العلم بالعمل، ومن ثمّ استطاع أن يُؤسّس لمشروع نهضة علمية وثقافية تقوم على :

- وضع استراتيجية تربوية تعليمية تقوم على التّخطيط المُحكم المبني على منهج علمي موضوعي يأخذ بأسباب النّهضة والتّحرر من كل أشكال الفساد والتّخلُّف والإفلاس
- بناء إنسان فعّال وإيجابي، يُحسُّ بوجوده ويشعرُ بكيانه، يحترم شخصيته ويعتزُّ بانتمائه وهُويّته، فعّالٌ وإيجابي، يفهم ذاته وحدوده وحياته، عالي الهمّة، يرفض التّطفُّلَ والتّواكلَ والجمودَ والتّحجرَ.
- تحرير الأذهان قبل الأبدان.
- معركة القلم لاتقلّ خطورة وأهمّية عن معركة السّيف، ولا سبيل إلى التّغيير والبناء والإصلاح إلا من خلال رؤية شاملة وواضحة تأخذ في الحسبان أسباب التّجديد والإحياء والبعث، وتنبذ التّقليد والتّرديد والجمود في الفكر والأدب والدّين والعلم.
- مجاراة روح العصر، والانفتاح على الحضارات الإنسانية بما يزيدنا قوة وهيبة
- التّأكيد والتّركيز على ربط الوعي بالسعي والرعي.

المراجع:

الإبراهيمي، محمد البشير.(1981). *آثار محمد البشير الإبراهيمي*،ج3(الطبعة الأولى). الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

مرتاض، عبد الملك.(1983). *فنون النثر الأدبي في الجزائر*،1931-1954. ديوان المطبوعات الجامعية.

الإبراهيمي، محمد البشير.(1981). *آثار* محمد *البشير الإبراهيمي*،ج4(الطبعة الأولى). الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

الإبراهيمي، محمد البشير.(1981).*آثار* محمد *البشير الإبراهيمي*،ج2(الطبعة الأولى). الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

الإراهيمي، محمد البشير.(1981). *آثار* محمد *البشير الإبراهيمي*،ج1(الطبعة الأولى). الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

جعمات، توفيق.(2010). *قبسات من شخصية الإمام* محمد *البشير الإبراهيمي*(الطبعة الأولى). مطبعة رويغي، الأغواط.